المخـرج العراقي حيدر رشـيد يصـالح العالم بالموسـيقى

في محاولة سينمائية جديدة اتسمت بالجمال والمغايرة يعاود المخرج العراقي الشاب المقيم في إيطاليا حيدر رشيد إعادة رسم علاقته مع الحياة والعالم من زاوية هادئة، غير متكلفة.
وقد اختار لفيلمه الموسوم(صمتا:كل الطرق تؤدي إلى الموسيقى) الذي عرض في تظاهرة ليالٍ عربية ضمن فعاليات مهرجان دبي السينمائي الثامن أن يأخذنا إلى عالم موسيقيٍ سمح يمثل حفزا فنيا للتواصل الإبداعي بين مجموعة من العازفين المتحدرين من جنسيات وثقافات مختلفة.

أحمد ثامر جهاد

صمتا: كل الطرق تؤدي إلى الموسيقى

في بلدة ساحلية صغيرة جنوبي ايطاليا تلتقي مجموعة من العازفين الموسيقيين واحدا تلو الآخر،يتعرفون إلى مواهبهم الفنية ويجربون قدرات آلتهم الموسيقية على العزف المنفرد والجماعي. للوهلة الأولى يشعر المشاهد بأن الآلات تبدو غير متجانسة،لكنه سرعان ما يتراجع عن ذلك لحظة إشغال لقطات الفيلم بالموسيقى الحية.فهناك البيانست (توم)، وعازف الاركوديون(تانينو)، وعازف المزمار والفلوت(جانكارو)، وعازف الطبل والقيثارة(لوكا)، وجميعهم يمثلون تشكيلا نغميا فريدا يجمع بين الموسيقى العربية والصقلية والغربية الحديثة.

طوال الفيلم الذي ابتعد أن يكون لحنا وحيدا،تتجول الكاميرا في أمكنة العزف وتتابع بانتقالات جميلة حوارات الموسيقيين في ما بينهم وتعليقاتهم الظريفة حول ما يقومون به،وتاليا الشغف الظاهر عليهم في بلوغ لحظة إحياء الحفلة الموسيقية التي ستمثل الوصلة الصافية والمؤثرة لعملهم الموهوب.

يمنحنا الفيلم الذي استغرق نحو ٨٥ دقيقة، فرصة النظر إلى كل آلة موسيقية على انفراد والاستمتاع بقدرات عازفها،قبل أن نعاين ثانية قدرة الآلة ذاتها على المشاركة والتناغم مع آلة أخرى لصنع لحن عذب. انه عالم هارموني غريب يتأتى من قدرة الأصوات الموسيقية المتباينة على التكامل والإعجاز بصيغ جمالية قد تعجز أية لغة تواصل أخرى عن أدائه.

نعم إن لكل آلة عزف نكهتها الخاصة لأنها ببساطة كناية عينية عن ثقافة وحضارة لها هويتها المتفردة،لكنها في المقابل تمنح أفضل ما لديها بالاندغام مع عزف آلة أخرى تحاورها باللغة عينها، من دون أن تفقد الواحدة منهما خصوصيتها.

أليس هذا هو القانون الذي على العالم أن يحتكم إليه، إذا ما اهتدى ببوصلة الروح المبدعة وحدها، وهي تفتح أمام البشر كلهم فضاء فسيحا للتواصل والتكامل؟

ربما كان من الأجمل لو أن المخرج وضع أمام المشاهد لحنا موسيقيا واحدا يجري الاستماع إليه مجزءاً مع دخول كل آلة جديدة إلى حين الوصول للاكتمال في عزف جماعي أخير،ليتاح للمشاهد معاينة الانتقالات الموسيقية وهي تنحو للتكامل تدريجيا. رغم ذلك يعي المخرج حيدر رشيد مهمته على نحو لم يسمح له بالانجرار إلى فخ الانحياز إلى طرف ما دون آخر،فالفيلم إجمالا لم يكتب ليكون معالجة مرئية عن الإبداع الموسيقي لفرقة بعينها كما هو الحال مع الأفلام الموسيقية،بقدر ما أريد له أن يكون دعوة لاكتشاف ما يوحد بيننا كمواطنين من هذا العالم،رغم اختلاف هوياتنا وثقافاتنا وتطلعاتنا. فعلى الدوام ثمة فسحة كافية لمعاينة ما يجمعنا وتأمل ما يجعل من ذلك لحنا إنسانيا قويا ومؤثرا إذا ما كنا واثقين من قدراتنا ومثمنين لقدرات الغير.

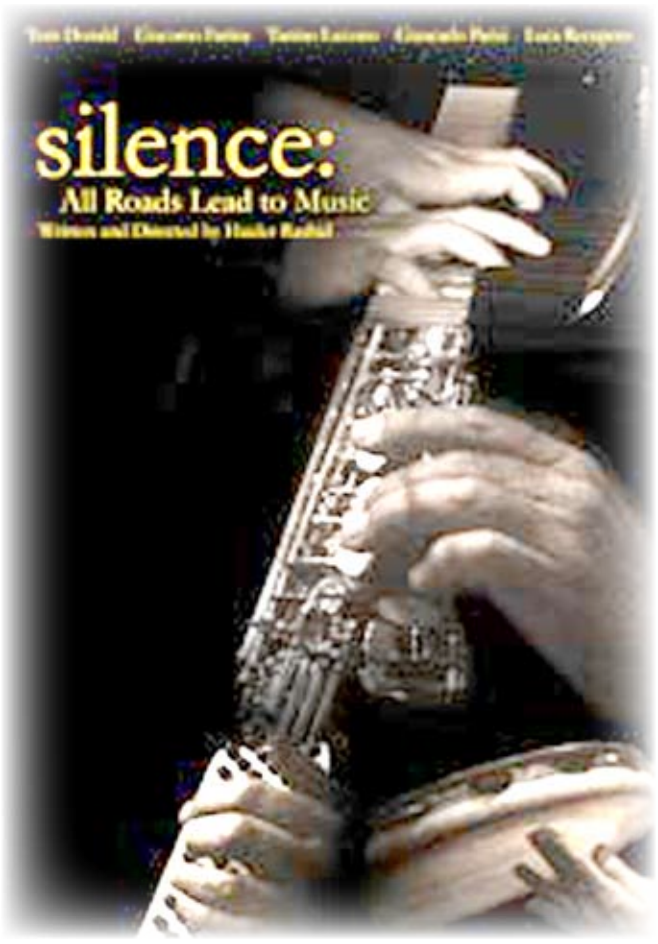

من هنا عمد الفيلم إلى جعل مشاهده منذورة بالكامل للموسيقى أكثر منها للحوار. فللموسيقى القدرة على التعبير والتوصيل بشكل ابلغ ما تفعله أية كلمات، فضلا عن توظيف الصورة التي تحركت خلال مشاهد العزف على مساحة استحضار المادة الوثائقية مشفوعة باللونين الأسود والأبيض، وهما يرسمان بتعاطف وجوه أناس مختلفين يحدقون فينا وعلى محياهم يرتسم المعنى.

إنهم ثلة من البشر لم يتح لهم الاستماع إلى لحن الجماعة الموسيقية، فما كان منهم إلا أن تأبدوا في محنتهم. محنة عالم حكمته يوما ما آلة الحرب بعزفها المرير.

ستكون الطرق التي تؤدي إلى الموسيقى هي الطرق الإنسانية الآمنة،المجربة،والحميمية.وما على السينما في نهاية الأمر إلا أن تجعلها متاحة وممكنة لنا جميعا.

×الفيلم إنتاج مشترك بين إيطاليا والعراق والإمارات وقد سبق لمخرجه حيدر رشيد أن حصل على الجائزة الثانية للفيلم الروائي الطويل في مهرجان الخليج السينمائي عام ٢٠١٠ عن فيلمه (المحنة).

مختـــار.. التعرض الجريء للموروث الشعبي

كاظم مرشد السلوم

واحد من أهم الأفلام التي عرضت في مهرجان العراق الدولي للفيلم القصير هو الفيلم المغربي "مختار" للمخرجة حليمة الورديغي ، حيث حصل على الجائزة الثانية للمسابقة الدولية للمهرجان ، وتكمن أهمية هذا الفيلم بتمكن مخرجته من إيصال ما تريد إيصاله من اعتراض على الموروث الشعبي الذي ربما يستند في الكثير من جوانبه إلى الفهم غير الصحيح للدين بوقت قصير لا يتجاوز الـ١٧ دقيقة، الوقت الكلي للفيلم، وهذا ما يميز الفيلم القصير عن غيره من الأفلام ، منذ بداية الفيلم تؤكد حليمة الورديغي براعتها في استخدام عناصر اللغة السينمائية ، ففي المشهد الاستهلالي حيث يرعى الطفل مختار الماعز تحت شجرة كبيرة في منطقة صخرية وعرة ، كان أشبه بلوحة تشكيلية فائقة الجمال ،حيث الماعز قد تسلق هذه الشجرة إلى أعلاها ،ثم لتبدأ في استخدام اللغة الدرامية ، بلحظة عثور الطفل مختار على صغير طير "البوم" يتشاءم منه أهالي هذه الجبال ، ويعتبرونه نذير شؤم لهم ، لكنه الطفل الذي لم يعرف بعد هذا الموروث ، فهو يتعامل مع الأشياء على طبيعتها ، فالصغار كل الصغار لمختلف الكائنات أبرياء قبل أن يعرفوا ما يعرفه الكبار ،وبلقطة فائقة الجمال تعرض حليمة الورديغي باحة منزل الطفل ، لترسل للمتلقي رسالة مهمة عن تعامل الرجال مع عوائلهم في هذه الأماكن النائية ، الأب يأكل وحده وقربه عدد من القطط ، فيما الأم تجلس بعيدة عنه ، وربما لا تجرؤ على الجلوس بجانبه .

وبعفوية الأطفال يدخل مختار حامل صغير طير "البوم" ليقيم الأب الدنيا ولا يقعدها، فالشر قادم لا محالة ، إلا بقتل مختار لصغير الطير الذي وجده ، فلا يجوز لأحد غيره أن يقتله ، وحين يرفض يسجن في مكان بأس ويرمى له الطعام من خلال شقوق الباب الخشبي .

وحين ينادي الطفل مختار بأعلى صوته على أمه ، تبرع مخرجة الفيلم بعرض مشهد متناقض ، الأب يؤدي الصلاة غير أبه بصراخ الطفل الذي يوشك على الجنون ، وهو مشهد فيه قصدية عالية تبقى للمشاهد حرية تأويله وتفسيره ، ومع إصرار الطفل على الاعتناء بطائره يزداد عناد الأب في الاستمرار بحبسه ، رغم توسلات الأم والجدة ، التي تعلق التعاويذ قبالة المنزل أبعادا للشؤم والشر عن البيت. تسوء بعد ذلك حالة الطفل الصحية وتتعالى صيحات أهله عليه لحثه على قتل طائرة ، وبمشهد مأساوي يقوم الطفل بإغراق الطائر في دلو الماء وقتله ، ليطلق سرحه وليعود لرعي الماعز في ذات المكان الصحراوي الاجرد .

أسئلة كثيرة دارت في ذهني بعد مشاهدة الفيلم ، ما لذي يمكن لهذا الطفل أن يصبحه مستقبلا ، وما اثر مثل هكذا تجربة في حياته ، وهل سيقدر على القتل مستقبلا ، ولماذا يأتي الكثير من المتشددين من مثل هكذا مناطق ، ولماذا يكونوا بتلك القسوة التي يتعاملون بها مع من يفترضونهم خصوما لهم ، أعتقد أن الفيلم استطاع أن يجيب عن أسئلتي من خلال ما بثه من رسائل ودلالات كثيرة ، مرة برمزية فائقة الجمال ومرة بمباشرة مؤثرة ، لكنها لا تريد استدرار عطف المشاهد بقدر ما تريد أن تقول إن في عالمنا الذي نعيش مازال الموروث الشعبي الذي ربما يستند في الكثير من جوانبه الى الفهم غير الصحيح للدين هو ما يرسم خطى أبنائنا نحو مستقبل يحث الخطى للخلف ، بينما العالم يسير بسرعة فائقة نحو التطور والتقدم .

أخيرا اعتقد أن الفيلم القصير استطاع أن ينافس وبشكل كبير الفيلم الروائي أو الفيلم التسجيلي ، وربما يحسب لصانعيه أنهم برعوا بتكثيف السيناريو الأدبي في نص مرئي لا يتوفر على الوقت الكبير الذي يتوفر عليه الفيلم الروائي أو التسجيلي .

تذكّروا السينما العراقيّة

خليل الربيعي

دأبت السينما العراقية ومنذ أواخر أربعينات القرن الماضي وإلى يومنا هذا على إنتاج الأفلام السينمائية العراقية التي تحاكي الحقب الزمنية للواقع العراقي والتراثي لهذا البلد وفي شتى مناحي الحياة .. واشتركت هذه الأفلام في مهرجانات عربية وعالمية على الرغم من قلتها مقارنةً بإنتاج الأفلام المصرية أو باقي الدول المحيطة.. ولكن أين ذهبت تلك الأفلام هذه الأيام بعدما محيت من ذاكرة المتابع والمحب للسينما فلا نجد ذكراً للإنتاج السيمي او التلفازي التراثي القديم خاصة بعد الموجة الهائلة والكم الهائل لإنتاج الأفلام السيمية والدرامية لدول الجوار لاسيما ما أحدثته القنوات الفضائية من جذب للمشاهد والمتابع أمثال روتانا سينما أو روتانا أفلام او روتانا دراما والتي تعرض الأفلام المنتجة والمسلسلات المنتجة أول بأول.. وبقيت السيما العراقية تراوح في مكانها بعدما أفل وهجها وانحسرت على ذكريات ربما نساها أو تناساها البعض عن قصد أو بغير قصد..

فبالعودة إلى بدايات السيما العراقية نجد أفلاماً مثل ((علية وعصام وفتنة وحسن والجابي وسعيد أفندي وغيرها)) من الأفلام التي كانت تحكي قصص الشارع العراقي والقرية والمعاناة الإنسانية للمجتمع العراقي على مرّ العصور بطريقة بسيطة وسلسة تدخل قلب كل متابع..

فأين نحن اليوم من هذا التاريخ الثري من تاريخ السيما العراقية فعلى الرغم من ضآلة أعدادها فأنها تقوم على جودة في الإنتاج وجودة في التعبير والمعنى.. على عكس ما نراه هذه الأيام من الكم الهائل للأفلام التي تعتمد على السفاهة والتسفيه من دون أي مغزى ثقافي او اجتماعي إلاّ ما ندر..

كما أننا نجد أن هناك فضائيات تحافظ على الموروث الثقافي والفني لهذه الدولة أو تلك عن طريق استذكار وعرض النتاجات السيمية والدرامية التي يمر عليها الزمن خوفاً عليها من الاندثار والتحول إلى إيماءات منسية كما أنها تمثل وثائق عملية لتاريخ الفن لهذه الدولة او تلك.. فأين نحن اليوم من عرض مثل هكذا أفلام.. ونحن نلحظ القنوات العراقية لا تتطرق إلى هذا التاريخ الثري ولا تمد الجيل الشبابي بذلك الموروث من تاريخ السيما العراقية أو الدراما العراقية .. وكأن السيما العراقية غير حاضرة وغير مولودة فقلما نجد برنامج يعيد ادراج الذاكرة ويسبح في فضاءات السيما العراقية ويدغدغ مشاعر المشاهد في استذكار الدراما والإنتاج السيمي العراقي.. فلما لا تكون هناك فضائيات تعرض النتاج العراقي القديم من أغاني او مسلسلات ومسرحيات وأفلام أسوة بما موجود في القنوات الفضائية الأخرى مثل روتانا زمان وغيرها من القنوات التي تعرض الموروث الفني ..

وإن لم يكن بالإمكان استحداث مثل هكذا فضائية فبالإمكان أن تخصص القنوات الفضائية العراقية العاملة أوقاتاً خاصة بعرض تلك النتاجات عن طريق برامج خاصة بهذا الموضوع، كأن يكون عن طريق برنامج أسبوعي حتى أن كان شهرياً، فالمهم هو استذكار ذلك التاريخ والتواصل مع التراث الفني الذي يحملنا فيضاً من الشوق والحنين إليه.. فحنينا إلى ((نشيد الأرض والعبخانة وبيوت في ذلك الزقاق والزورق والأسوار والنهر وجرف الملح)) يشدنا إلى طرح مثل هذه الأفكار والمطالبة بإحياء ذلك التراث وتلك الذاكرة الجميلة التي تفوح منها رائحة الأرض العراقية الطيبة.. ويفوح منها عبق الماضي الممتد في جذور النخيل العراقي وبعبق التاريخ الجميل والمنساب في أعماق الجمال والبساطة والحب... وكما يقول المثل الشعبي (من فات قديمة تاه) فلا تنسونا تاريخنا الثقافي وتذكروا ذلك الإبداع الفني وتلك الحقب الزمنية الجميلة .. إجلالاً واحتراماً لمبدعينا من الممثلين والمنتجين والمخرجين وكل العاملين في مجال الدراما والسينما العراقية الذين أصبحوا لا يُذكرون حتى في مفارقتهم للحياة..وهم من قدموا ومنحوا الفن والثقافة أجمل أيام حياتهم وزهرة شبابهم في التفاني في العمل من اجل إيصاله للمشاهد ومن اجل رفد الحركة الثقافية والفنية بالإبداع وارتقاء سلم المجد والتطور على الرغم من البساطة في المعدات والتقنيات آنذاك..

المكتبة السينمائية

لمـــاذا تُـــرَوَّج الأفـــلام الـرديـئـة؟

ترجمة: عباس المفرجي

مارك كيرمود هو رجل ذو أصول سينمائية على نحو ملائم : اسمه ، ومظهره ، ومكانه في الحياة الثقافية هي بوضوح نتيجة تجربة فاشلة لمسألة نقل كانت فيها جينات فرانك كيرمود ومارك لامار مقرونة من غير قصد . هنا هو ناقد واسع المعرفة مع تقدير سليم للرديء ، ومحافظ محب للشريط السينمائي ويفضل على نحو صريح "على آخر نفس" ، ورجل يبدي بتباه شعره المسرّح والمصفوف عاليا وإلى الخلف ، ومع هذا فهو يتماثل مع طيف ملغد لريتشارد نيكسون . كتابه هذا هو كتاب أزمة منتصف العمر . لو كان ناقدا سينمائيا لربع قرن (و ((الأكثر ثقة)) في بريطانيا حسب استطلاع يوغوف عام ٢٠١٠) ما الفائدة من وجوده عندما يحقق فيلم (الجنس والمدينة ٢) نجاحا ساحقا؟

أسلوب كيرمود مفرط في الثرثرة . كثيرا ما يردد عبارات مثل : ((اسمع ...)) أو ((هل تريد سماع حجتي ؟ سأخبرك على كل حال . إنها شيء من هذا القبيل ...)) كما أنه يتحدث على نحو غير مترابط إلى حد الملل : تنويه بزاك ايفرون يحّث على استطراد نزق عن مارلون براندو ، الذي ينطوي على قوسين حول ((المخرج الجنوب إفريقي المولد ريتشارد ستانلي)) ، ثم نادرة من ديفيد ثيوليس ، قبل أن يعود إلى ايفرون ، وقبل أن ينطلق ثانية مثل مافريك بعد أن يحدث ضجة داوية بعجلتي طائرته على سطح الباخرة قبل الذهاب للحاق بكوغار في المشهد الافتتاحي من (توب غن) . كان على محرر الكتاب أن يبصم على كل هذا الهراء . حين تنتهي من الكتاب ، سترى أن لدى كيرمود معرفة غير طبيعية ، وحماسة رهيبة متفردة ، وجهازا كبيرا للكشف عن الهراء وبعض الأمور من المثير للاهتمام جدا قولها . ليست كل تلك الأشياء متفائلة ، إنه يلقي نظرة شاملة على منظر السينما السائدة، فيرى أرضا قاحلة مشتركة كريهة ، تدفع فيها أنت ثمن بطاقة بمقدار عشرين باونا لمتابعة فيلم رديء ، مصنوع بكلفة عالية ، في مكان للوجبات السريعة ثمنها فاحش .

شكواه الأساسية هي هذه : إذا كان من المستحيل تقريبا للأفلام القنابل ، التي نجومها من القائمة الأولى من المشاهير ، خسارة نقود ○ ويشرح ذلك مع إشارة خاصة إلى أفلام (واترلاند) ، (كليوباترا) ، و (بوابة الفردوس) □ ، لماذا إذن تكون نفاية ؟ هل هو أمر عسير أن تُعطى سيناريو محترما ، وممثلين ملائمين ، وهلم جرّا؟

أفلام الحدث تلك التي تكون حذرة في إهانة ذكاء جمهورها هي ، كما يقول ، شائعة كاذبة : أفلام الحدث هي فقط للأشخاص الذين يقدرون على تحمّل المجازفة . لو أردت حقا أن تخسر نقودا ، فاصنع فيلما مُموّلا بشكل مستقل ، وفيلما للآرت هاوز [دور السينما التي تعرض أفلام الفن فقط] متوسط الثقافة.

لجعل دعواي واضحة ، سوف لا تكون لي النظرة الفوقية التي لكيرمود . أنا لم أشاهد فيلما لمايكل باي لم يعجبني ، رغم أني أعترف بأنني لم أشاهد (بيرل هاربور) ، إذ كنت حذرا من مشاهد الفيلم الإعلانية وملصقاته ، وكل النقد الذي كُتب عنه .أنني حتى أعجبت بفيلم " ترانسفورمرس " . وبرغم أن لكيرمود فكرة قد نقود إلى اكتشاف مهم ، فما كان من الممكن لفيلم " ترانسفورمرس " أن يكون أفضل . يطرح كيرمود نقطة مثيرة للانتباه ، وإن تكن مضايقة قليلا ، وهي رغم انه لا يمكن للمرء الإخفاق في مشهد مسلٍ ، فإن الفكاهة هي مخاطرة . رمي أموال كافية على مشهد انفجار هيليكوبتر خال من الفكاهة ، سيدفع الجمهور للحضور ؛ لكن كوميديا ضعيفة ربما ستفشل تماما . ذلك قد يُفصح عن شيء من طبيعة السينما . موجة الثري دي الشائعة حاليا هي ، كما يزعم كيرمود ، شيء مفروض على الجمهور أكثر مما هي مطلوبة منه ، لذلك هي مدانة بالفشل ، كما الحال مع بُدَع الثري دي السابقة . غايتها هي الاتجاه نحو القرصنة ، لا تحسين المنتج ، وميراثها هو أوجاع الرأس ، وشاشات متسخة ، وصرخات رعب ولامبالاة استهلاكية واسعة النطاق . ويتعرض كيرمود باقتدار لأوجه القصور التقنية والفنية فيها .

يظهر كيرمود ، أيضا ، عددا لا بأس به من أساطير أخرى . فصل واحد يُفتتح بتقاربات لاذعة بعناوين ((السينما البريطانية ماتت)) حول شطب مجلس الفيلم البريطاني ، بجوار عناوين متزامنة ((السينما البريطانية تولد من جديد)) حول حصاد (خطبة الملك) لجوائز الأوسكار . كلاهما ، كما يقول ، كانا سماد حصان . جوائز الأوسكار هي فساد مؤسسي لوسائل العرض التجارية الأميركية ، والأفلام " البريطانية " التي فازت ، كانت بشكل عام بتوجيه وإنتاج مشترك مع أميركا حول أعضاء الأسرة المالكة ، ورعاية المنتج الأميركي هارفي واينستاين هي في كل حالة تقريبا كانت قضية حاسمة . أمّا مجلس الفيلم البريطاني ، الذي موّل فيلم " الحيوات الجنسية لرجال البطاطا " ، كان الأجدر به أن ينفق ماله على دعم السينمات البريطانية بدلا من " السينما " البريطانية . ما تحتاج اليه صناعة السينما ، كموطن خصب للمواهب ، هو ليس أفلام فن جادة مدعمة ، بل ثقافة مزدهرة لاستثمارات سينمائية برأسمال صغير . ثيمة كيرمود ، في كل مكان ، هي أن مشكلة المنتج الفني ليست التمويل : إنها التوزيع .

حول مسألة العلاقة بين الذيل والكلب ـ من منهما يهتز؟ هل تكون الأفلام الرديئة مفروضة على جمهور لا يريدها ، أم هي مطلوبة من قبل جمهور يحصل على الأفلام التي يستحقها ؟ ـ كيرمود يراوغ قليلا . لكن عندما يُظهر رفضه الصارم والعادل لأفلام " أفاتار " ،و" بيرل هاربور" و(على وجه الخصوص) " الجنس والمدينة ٢ " ، فإنه لا يخشى من إطلاق رصاصة الرحمة على الكلب ، ويدع الأجيال القادمة تتجشم عناء التمييز الصائب . الكثير من أكثر الأشياء التي تعلق في الذهن حول هذا الكاتب ـ ولعه الصبياني طويل الأناة بالفنون ، وحنينه للماضي وسخافته الطفيفة ـ هو ملخص بهذه الجملة صعبة المأخذ : ((واحدة من أكثر اللحظات المجزية في مسيرتي المهنية ، كانت عندما اشتركت فرقتي الموسيقية ، ذا دودج بروذرز ، مع نيل براند في تقديم عزف موسيقي حي لفيلم منسي للويس بروكس ، " متسولو الحياة " ، على شاشة "كاربون – لالونية" ، كجزء من حفل افتتاح مهرجان " نيو فوريست فيلم " في أيلول عام ٢٠١٠)).

لا حكم واحد من هذه الأحكام ، لأسباب ربما تأملها المؤلف أو لا ، لم يكن رائعا . ينبغي علينا أن نكون مسرورين بوجود ناقد مثله بيننا .

■ عن: صحيفة الغارديان

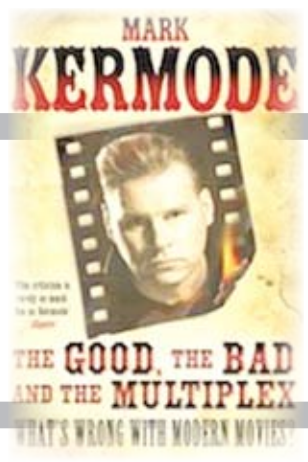

اسم الكتاب:
الجيّد ، السيئ والمتعدد: ما خطب الأفلام الحديثة؟
المؤلف: مارك كيرمود